جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٢ —

حدثني ابو يعلى محمد بن يعقوب البريدي الكاتب قال لما قصدت سيف الدولة اكرمني وانس بي وأنعم عليّ وكنت أحضر ليلاً في جملة من يحضر قال فقال لي ليلة من الليالي كان قتلُ ابيك أبرك الأشياء عليّ . فقلت كيف ذاك اطال الله بقاء مولانا ؟ قال : لما رجعنا من بغداد اقتصر بي اخي ناصر الدولة على نصيبين فكنت مقيماً فيها ولم يكن ارتفاعها يكفيني فكنت أدافع الأوقات وأصبر على مضض من الاضاقة مدةً ثم بلغتني اخبار الشام وخلوّها الا من (يانس المؤنسي) وكون ابن طغج بمصر بعيداً منها ورضاه بأن يجعل (يانس) عليها ويحمل اليه الشيءُ اليسير منها . ففكرت في جمع جيش وقصدها وأخذها وطرد (يانس) ومدافعة (ابن طغج) ان سار اليّ بجهدي فان قدرت على ذلك والا كنت قد تعجلت من اموالها ما تزول به إضاقتي مدة ووجدت جمع الجيش لا يمكن الا بالمال وليس لي مال . فقلت اقصد اخي واسأله ان يعاونني بألف رجل من جيشه يزيح هو علتهم ويعطيني شيئاً من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من المال واخرج بهم فيكون عملي زائداً في عمله وعزه . قال وكانت تأخذني حمى ربع . فرحات الى الموصل على ما بي ودخلت الى اخي وسلمت عليه فقال ما اقدمك ؟ فقلت امر اذكره بعدُ . فرحّب وافترقنا فراسلته في هذا المعنى وشرحته له فأظهر من المنع القبيح والرد الشديد غير قليل . ثم شافهته فكان اشد امتناعاً وطرحت عليه جميع من كان يتجاسر على خطابه في مثل هذا فيردهم . قال وكان لجوجاً اذا منع من الاول شيئاً يلتمس منه اقام على المنع . قال ولم يبق في نفسي من يجوز ان اطرحه عليه واقدّر انه يجيبه الا امرأته الكردية والدة ابي تغلب قال فقصدتها وخاطبتها في حاجتي وسألتها مسألته فقالت انت تعلم خلقه وقد ردك وأن سألته عقيب ذلك ردني ايضاً فاخرق جاهي عنده ولم يقض الحاجة ولكن اقم اياماً حتى اظفر منه في خلال ذلك بنشاط او سبب اجعله طريقاً للكلام والمشورة عليه والمسألة له . قال فعلمت صحة قولها . فأقمت قال فاني جالس بحضرته يوماً اذ جاءه برّاج بكتاب طائر عرّفه سقوطه من بغداد فلما قرأه اسودّ وجهه واسترجع واظهر قلقاً وغماً وقال انالله وانا اليه راجعون . ياقوم! المتجعرفُ الأحمق الجاهل المبذر السخيف الرأي الرديّ التدبير الفقير القليل الجيش يقتل الحازم المرتفق العاقل الوثيق الرأي الضابط الجيد التدبير الغني الكثير الجيش . ان هذا لأمر عجيب قال فقلت له يا سيدي ما الخبر فرمى بالكتاب وقال قف عليه فاذا هو كتاب خليفته ببغداد بتاريخ يومين يقول ان في هذه الساعة تناصرت الأخبار وصحت بقتل ابي عبد الله البريدي اخاه ابا يوسف واستيلائه على البصرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قال : فلما قرأت ذلك مع ماسمعته من كلامه متُّ جزعاً وفزعاً ولم أشك انه يعتقدني كأني ابو عبدالله البريدي في الأخلاق التي وصفه بها ويعتقد في نفسه انه كأبي يوسف وقد جئته في أمر جيش ومال ولم أشك ان ذلك سيولد له أمراً في القبض عليّ وحبسي فأخذت أداريه وأسكن منه وأطعن على ابي عبد الله البريدي وأزيد في الاستقباح لفعله وتجيز رأيه الى ان انقطع الكلام . ثم أظهرت له انه قد ظهرت الحمّى التي تجيئني وانه وقتها وقد جاءت فتمت فقال ياغلمان بين يديه . فركبت دابتي وحركت الى معسكري . وقد كنت منذ وردت وعسكري ظاهر البلد . ولم أنزل داراً . قال فحين دخلت الى معسكري وكان بالدير الاعلى لم أنزل وقلت لغلماني ارحلوا الساعة الساعة ولا تضربوا بوقاً واتبعوني : وحركت وحدي . فلحقني نفر من غلماني وكنت أركض على وجهي خوفاً من مبادرة ناصر الدولة اليّ بمكروه . قال فما عقلت حتى وصلت الى بلد في نفر قليل من اهل معسكري وتبعني الباقون فحين وردوا نهضت للرحيل ولم أدعهم ان يُرخوا (١) وخرجنا فلما صرنا على فرسخ من البلد اذا باعلام وجيش لاحقين بنا فلم أشك ان اخي أنفذهم للقبض عليّ فقلت لمن معي تأهبوا للحرب ولا تبدأوا وحثوا السير قال فاذا باعرابي يركض وحده حتى لحق بي وقال أيها الأمير ما هذا السير المحثّ خادمك (دنحا) قد وافى برسالة الامير ناصر الدولة ويسألك ان تتوقف عليه حتى يلحقك قال فلما ذكر (دنحا) قلت لو كان شراً ما ورد (دنحا) فيه

(١) لعل صوابه : يراحوا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فنزلت وقد كان السير كدّني والحمى قد اخذتني فطرحت نفسي لما بي . ولحقني (دنحا) واخذ يعاتبني على شدة السير فصدقته عما كان في نفسي فقال اعلم ان الذي ظننته انقلب وقد تمكنتُ لك في نفسه هيبة بما جرى وبعثني اليك برسالة يقول لك « انك قد كنت جئتني تلتمس كيت و كيت فصادفتَ مني ضجراً وأجبتك بالرد ثم علمت ان الصواب معك فكنت منتظراً أن تعاودني في المسألة فاجيبك فخرجتَ من غير معاودة ولا توديع والآن ان شئت فأقم بسنجار أو بنصيبين فاني منفذ اليك ما التمست من المال والرجال لتسير الى الشام . »

قال فقلت لدنحا تشكره وتجزيه الخير وتقول كذا و كذا . أشياء واقفته عليها . وتقول : اني خرجت من غير وداع لخبر بلغني في الحال من طروق الاعراب لعملي فركبت لالحقهم وتركت معاودة المسألة تخفيفاً . فاذا كان قد رأى هذا فانا ولده وان تمّ لي شيءٌ فهو له وانا مقيم بنصيبين لأنتظر وعده . قال : وسرت ورجع (دنحا) فما كان الا ايام يسيرة حتى جاءني (دنحا) ومعه الف رجل قد أزيحت عللهم وأعطوا أرزاقهم ونفقاتهم وعرضت دوابّهم وبغالهم ومعهم خمسون الف دينار وقال هؤلاء الرجال وهذا المال فاستخر الله وسر . قال فسرت الى حلب وملكتها و كانت وقائعي مع الإخشيدية بعد ذلك المعروفة . ولم يزل بيني وبينهم الحرب الى ان اسفرت الحال بيننا على ان أفرجوا لي عن هذه الأعمال وأفرجت لهم عن دمشق واستغنيت عنه و كل ذلك فسببه قتل عمك لأبيك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أنشدني ابو علي الحاتمي فصلاً في رسالة عملها الى بعض الرؤساء في صفته :

أفكاره هِمَم ايعاده نِقَم وعوده قِسَم تأميله عصم
الفاظه حِكَم اوطانه حرم الحاظه نقم (١) آلاؤه دِيَم
تبغي الخلائق ان يحصوا فضائله ودون ذلك ما يستنفد الكلم
ولو أرادوا جميعاً كتم معجزه ابى له الله ما يأتون والكرم
تبغي مجاراته في فعله شير (٢) قدقصرت عندهم (٣) عن لعبه الفقم
و كيف يستطاع فعل او يرام علا ماليس يدركه الاوهام والفهم

* * *

حدثني بعض الأهوازيين قال رأيت ابا الحسن المنبري الشامى الطائي الشاعر بالأهواز على باب الحسين بن علي المنجم وهو عاملها يتردد مدة و كان قدامتدحه قال فتذاكرنا شدة تلوّن (٤) اخلاق المنجم وجنونه ونواميسه (٥) في وقت وعدوله عن ذلك في آخر ثم قلت له فأين أنت منه فقال ما آيس من رده ولا أطمع في وعده قلت انا : وهذا كأنه مأخوذ من الأبيات التي هجا بها الحسن بن رجا وهي مشهورة فلذلك لم أوردها على جهتها والاخير (٦) من الأبيات وهو :

لكنها خطرات من وساوسه يعطي ويمنع لابخلاً ولا كرما

* * *

(١) لعله : نعم . (٢) لعله : بشر . (٣) لعل صوابه : عنهم عن كعبه البُهَم .
(٤) بالاصل : تكون . (٥) لعله : تآنسه . (٦) لعله : الا الاخير .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حكي لي عن بعض الصالحين في إخراج السرق قال تأخذ قدحاً فيه ماء وتأخذ خاتماً فتشده فيه بشعرة وتدليه في القدح وتكتب خمس رقاع فيها أسماء المتهمين بالسرقة وتكتب «السارق» في القدح وتضع رقعة تكتب فيها اسم من تتهمه على حرف القدح وتقرأ عليه (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون .) فاذا ضرب الخاتم القدح نظرت في الرقاع (١) فان السارق هو صاحب الاسم وان لم يضرب القدح فتضع أخرى فان السارق هو اذا ضرب . وقال لي في الآبق تكتب فاتحة الكتاب مدورة وتكتب في وسطها : (كظلمات في بحر لجّيّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) اللهم اجعل الارض علوها وسفلها وسهلها وجبلها وبرّها وبحرها في قلب فلان بن فلان أضيق من مسك شاة حتى يرجع .

* * *

تذاكرنا في مجلس ببغداد حضره ابو علي بن محمد بن منصور الشاهد المعروف بابن كردي حديث غلبة النساء على الرجال الا النفر من الرجال فقال لي ابو علي كان لنا شيخ فاضل من اهل القطيعة (٢) كان يضرب لنا في هذا مثلاً فيقول : ان في جهاز العروس الى زوجها سرجاً ولجاماً فاذا انقضت ايام العرس : إن سبق الرجل فأسرج المرأة ووضع اللجام في رأسها وركبها ملك

(١) لعله : الرقعة . (٢) القطيعة اسم لعدة أماكن في بغداد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عليها امرها . وان تراخى لحظةً وضعت هي السرج على قفاه واللجام في فيه فركبته فلم تنزل عنه الا بطلاق او موت .

* * *

حدثني ابو الفضل محمد بن عبيد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازي قال حدثني سهل بن نظير اليهودي الجهبذ قال حدثني جدي سهل بن نظير وكان يتجهبذ للوزير على قديم السنين منذ ايام الفتنة والى ان مات قال لما نُكب عبيد الله بن سليمان بعد نكبته (١) للموفق النكبة العظيمة كنت اتوسم فيه الرفعة وعلوّ الحال فكنت احمل الى عياله في كل شهر مائة دينار وهو في الحبس ثم أُطلق فكنت احملها اليه الى ان ولي الوزارة فعرف لي ذلك وبلغ بي كل مبلغ وشكرني عليه اتم شكر قال ثم ان عبيد الله نكب جرادة الكاتب وكان قد جرت له عليه الرياسة وعلى الناس والرؤساء وكان له احسان سالف اليّ كثير فكنت احمل الى عياله في كل شهر مائة دينار واحدر به الى البصرة قال فبلغ ذلك عبيد الله بن سليمان وانا لا اعلم فدخلت اليه يوماً فقال لي ياسهل بارك الله لك في عداوتنا قال فقلت له ايها الوزير من انا حتى أُعاديك وانا اخس كلب ببابك قال واكثرت التنصل والتهيب وبكيت وقلت يا سيدي ما هذا الكلام ان كان شيءٌ رقي الى الوزير ايده الله عني واقفني عليه ولعل عندي فيه حجة او برهاناً على بطلانه قال فقال لي تحمل الى عيال جرادة في كل شهر مائة دينار قال فقلت ايها الوزير انا مافعلت هذا ولا

(١) لعله : وزارته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تجاسرت عليه انما فعله الرجل الذي كان يحمل الى عيال الوزير ايده الله مائة دينـــار في كل شهر رعاية لحق احسانه اليه فرعى لجرادة احساناً له اليه ايضاً فحمل اليه مثل ما كان يحمل الى عيـــال الوزير ايده الله فاحمرّ وجهه خجلاً واطرق وسكت ملياً ثم تصبب وجهه بالعرق وقلت قبض والله علي ونكبني قال فاسقطت فرفع رأسه وقال أحسنت يا سهل ماترى بعد هذا مني منكراً ولا بقي في نفسي عليك شيٌ فاجرهم على رسمهم ولا يوحشك ماخاطبتك به .

« البقية تأتي »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net